**توحيد نجد**

اتبع عبد العزيز بن متعب آل رشيد بعد انتصاره في معركة الصريف سنة 1318هـ سياسة الشدة والقوة؛ فتتبع المنهزمين وقتل كثير ممن عثر عليه منهم، ونكل بزعماء بلدان نجد الذين ناصروا مبارك آل صباح وحلفائه وصادر أموالهم. وبسبب هذه السياسة الظالمة ازداد كره أغلب أهل نجد لابن رشيد، وتمنوا زوال حكمه والخلاص منه.

وقد كان ابن رشيد يمني نفسه باحتلال الكويت منذ توليه إمارة حائل -في عام 1315هـ خلفاً لعمه محمد بن عبد الله آل رشيد- بسبب أهميتها الاقتصادية. ثم ازداد عدائه لإمارة الكويت بعد دخولها تحت الحماية البريطانية، ولعل سياسته العدائية هذه كانت بتحريض من الدولة العثمانية التي لم تكن راضية بطبيعة الحال عن خروج الكويت من سلطتها ودخولها تحت سلطة عدوتها بريطانيا. ولما كان ابن رشيد معسكراً في حفر الباطن يتحين الفرصة لمهاجمة الكويت واحتلالها، بلغه خبر استيلاء عبد العزيز آل سعود على الرياض في عام 1319هـ، فأظهر غطرسته المعهودة عنه وتظاهر بأنه يستطيع القضاء على ابن سعود متى ما أراد ذلك، فيقال بأنه قال حين بلغه الخبر: "أرنب دخلت جحرها"، ويقصد بذلك أن دخول ابن سعود إلى الرياض كالأرنب التي دخلت في جحرها وأن ابن رشيد متى ما أراد سيتوجه إلى مكان تلك الأرنب ويحاصر جحرها حتى تخرج! وبالفعل، بقي ابن رشيد معسكراً في الحفر قرابة الأربعة أشهر يتحين الفرصة المناسبة لمهاجمة الكويت متجاهلاً ما يحدث في الرياض تماماً.

أتاح غرور ابن رشيد الفرصة لابن سعود بأن يقوي دفاعاته في الرياض ويستعد تماماً للمواجهة، كما استغل بعد ابن رشيد عن الرياض لتوسيع دائرة سيطرته على المناطق القريبة من الرياض. أراد ابن سعود ألا يحرك ساكناً في المناطق الواقعة شمال الرياض لئلا يستفز ابن رشيد ويشعره بأنه يتقدم مباشرة لمواجهته، فلذا توجه أولاً إلى المناطق الواقعة جنوب الرياض لبعدها عن مناطق نفوذ ابن رشيد، ولأن معظم سكان هذه المناطق يميلون لآل سعود. وبالفعل، صدق ظن ابن سعود واستطاع بسهولة أن يضم مناطق الخرج والأفلاج والحريق وحوطة بني تميم، وأصبح نفوذه يمتد من الرياض إلى وادي الدواسر.

في مطلع عام 1320هـ أرسل ابن سعود فرقة عسكرية لغزو بادية عالية نجد (غربي نجد)، ويبدو أن الهدف من هذا التحرك كان كسب الغنائم، خاصة وأن هذه القبائل لم تكن تابعة تبعية كاملة لابن رشيد، وبالتالي فإن مهاجمتها لن تثيره. ويبدو أن ما أثار ابن رشيد فعلياً هو عودة الإمام عبد الرحمن بن فيصل إلى الرياض، حيث كانت رسالة واضحة تدل على أن آل سعود يريدون أن يقيموا إقامة دائمة في الرياض وأن ما يفعله عبد العزيز ليس مجرد تحرك عسكري قد ينسحب بعده إلى الكويت. وبالتالي، فقد قرر ابن رشيد أن يحشد قواته من حاضرة حائل والقصيم والوشم وسدير وبادية قحطان ويتوجه إلى الرياض. فلما علم ابن سعود بتحرك ابن رشيد ترك والده على رأس حامية عسكرية في الرياض وانسحب هو بجيشه إلى جنوب الرياض. وصل ابن رشيد إلى الرياض، ولكنه وجدها محصنة تحصيناً منيعاً فلم يرد أن يطيل حصارها وإنما فضل أن يواجه عبد العزيز بن سعود مباشرة، فتوجه إلى الخرج، ثم أخذ يغير على بلدة الدلم محاولاً الاستيلاء عليها. وفي أثناء ذلك وصل ابن سعود إلى الدلم ودخلها دون علم خصمه. فلما أغار ابن رشيد على البلدة كعادته وجد مقاومة شديدة، فعلم ابن رشيد بأن المدد قد وصل إلى البلدة وأن حصارها سيطول، فانسحب من المنطقة دون تحقيق أية نجاحات. ويقول بأنه أظهر غضباً شديداً لما رأى من مقاومة ابن سعود له، فأقسم ألا يدخل حائل أبداً حتى يقضي على ابن سعود أو يموت دون ذلك.

عاد ابن رشيد ليعسكر مرةً أخرى في حفر الباطن، فشعر مبارك آل صباح بأن ابن رشيد على وشك الهجوم على الكويت هذه المرة، فاستنجد بابن سعود. هب ابن سعود متجهاً إلى الكويت، ولما وصلها وجد أن مبارك قد أعد جيشه وجعل على قيادته ابنه جابر، فانطلق الجميع إلى حفر الباطن، ولكن ابن رشيد أراد استغلال فرصة غياب ابن سعود عن الرياض فانسحب سريعاً وتوجه إلى عاصمة ابن سعود، ولكن ابن رشيد -مرةً أخرى- لم يستطع اختراق تحصينات الرياض، فانسحب مجدداً.

شجعت النجاحات التي حققها ابن سعود والإخفاقات التي لازمت ابن رشيد مؤيدي ابن سعود على التحرك ضد ابن رشيد، فثار أهل شقراء على أمير ابن رشيد وأخرجوه من بلدتهم، ثم بعثوا إلى ابن سعود معلنين ولاءهم له وطالبين منه أن يرسل لهم حامية عسكرية تعينهم على مواجهة ابن رشيد، فأرسل لهم ابن سعود سرية كانت بمثابة أول عمل عسكري لابن سعود في المناطق الواقعة شمال الرياض. ولما وصلت تلك السرية إلى شقراء قامت بمهاجمة ثرمداء لأن أمير شقراء الذي طرده أهلها قد أوى إلى ثرمداء، فاستطاعت هذه السرية أن تقتل ذلك الأمير وتخضع ثرمداء لحكم ابن سعود. لما علم ابن رشيد بما حدث في إقليم الوشم توجه مباشرةً إلى شقراء ولكنه لم يتمكن من دخولها، ولذلك انسحب. ولما علم ابن سعود بانسحاب ابن رشيد خرج إلى إقليم الوشم، ومن شقراء أرسل سرية نجحت في إخضاع روضة سدير وإخراج حامية ابن رشيد منها. وبالتالي دخلت جميع بلدان سدير تحت حكم ابن سعود ما عدا المجمعة التي بقيت موالية لابن رشيد حتى مقتله في عام 1324هـ.

**المراجع:**

عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2: 59-70.

محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية، 51-56.